📖قال المؤلف –رحمه الله–:

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُة وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ). وَاللهُ أَعْلَمُ.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فبعد أن عرَّف الشيخ –رحمه الله– الطاغوت تعريفًا عامًا خص وفصَّل فقال: **وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُة:** الطواغيت: جمع طاغوت، وهم كثر؛ لأنه إذا كان حد الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فالواقع أن هذا الوصف ينطبق على أعيان كثيرين، فهم قال الشيخ: **وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُة:** لكن لهم رءوس، والمقصود بالرءوس الزعماء وذوي الأتباع الكثيرون.

قال: وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُة وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ: إبليس أصل الشر، وهو الذي تقلد إضلال بني آدم، وهو الذي أصابه داء الكبر بسبب هذا الطغيان في نفسه؛ فهوى به إلى أسفل سافلين، ذلك أن إبليس قد بلغ من العبادة ما بلغ به مصاف الملائكة –وإن لم يكن منهم– يقول الله –عز وجل–:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤]. فكان إبليس من الجن كما أخبر الله –عز وجل: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠].

إذن حقيقة إبليس: حقيقة نارية، ليس من الملائكة الذين خلقهم الله تعالى من نور؛ لكنه كان مجتهدًا في العبادة والتقرب فبلغ في سعيه هذا ودأبه أن بلغ مصاف الملائكة؛ لكن خانه أصله الفاسد، فإن الله –سبحانه وتعالى– لما أمر الملائكة الكرام بالسجود لآدم خروا سجدًا؛ لكمال عبوديتهم لله تعالى.

أما إبليس فإنه سرى الكبر في نفسه وقال: {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢]، {أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤] فأبى أن ينصاع لأمر الله –عز وجل– ولحظ المعنى المأمور به، و لم يلحظ الآمر وهو الله –سبحانه وتعالى– فلا شك أن هذا هو أصل الطغيان، ثم إنه تقلد إضلال بني آدم، وقال: {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر: ٣٩، ٤٠]. فكان أن جرت سنة الله تعالى بهذا.

قال: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ: هذا –والله أعلم– على سبيل الخبر، يعني أنه قد وقع اللعن عليه من الله؛ لأن اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، وقلنا: إن الأغلب أن يكون على سبيل الخبر لا على سبيل الدعاء؛ لأنه قد ورد آثار في

النهي أن يقول الإنسان: تَعِس الشيطان. وربما قيس عليها: لعن الله الشيطان. عن أبي المليح عن رجل قال كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم- فعثرت دابته فقلت تعس الشيطان. فقال صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولَ بِقُوَّتِى وَلَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ)[1]، يعني أنه ينتشي لهذا الدعاء، وأنه صار في محل ذم الجميع وغير ذلك؛ فلهذا ورد النهي عن ذلك، أما على سبيل الخبر فلا شك أن الأمر كما قال الله:{لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} [النساء: ١١٨، ١١٩].

إذن إبليس هو رأس الطواغيت، ولم يزل إبليس يسعى في إضلال بني آدم، واعلموا أن أغلى وأعلى ما يطمح إليه الشيطان هو إيقاع العباد في الشرك، في الشرك الأكبر، فهذا غاية مناه؛ لأنه هو الذي يحصل به إلقاء بني آدم معه في قعر النار، فإن لم يتمكن من الشرك الأكبر نقلهم إلى الشرك الأصغر، فإن لم يحصل على ذلك منهم نقلهم إلى الكبائر؛ لأن الكبائر موجبات للوقوع في النار إلا أن يغفر الله، فإن لم ينل منهم الوقوع في الكبائر، وربما نجعل مرتبته قبل الكبائر وهي البدعة، وهي أن يوقعهم في البدعة، لأن البدعة خروج عن سمت الدين وإضافة إلى دين الله ما ليس منه، فإذا لم يظفر منهم بالشرك نقلهم إلى البدعة؛ لأنها باب واسع يفضي إلى أمور أخرى، فإن لم يظفر منهم بالبدعة نقلهم إلى الكبائر، فإن لم يظفر منهم بالكبائر نقلهم إلى الصغائر، فإن لم يظفر منهم بالصغائر نقلهم إلى الوقوع في المكروهات وترك الأولى، بمعنى أن الشيطان لا يزال يفتل في الذِروة والغارب حتى ينال من ابن آدم ما يستطيع، فهو عدو حقيقي، عدو مبين.

ولأجل ذا يجب أن نستشعر عداوة الشيطان لنا، فإن الله -سبحانه وتعالى- يقول: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ} [فاطر: ٦]. لكن ما ثمرة ذلك؟ {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦]. جميع الناس، جميع المؤمنين مقرون أن الشيطان عدو لا تردد عندهم في ذلك، لكن الجملة الثانية: {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦]. أي أن يصوغ الإنسان سلوكه ليعادي الشيطان، هذا قد لا ينتبه له إلا القليل من الناس. وشعورك بعداوة الشيطان لك، وتيقنك من ذلك يجعلك متيقظًا متنبهًا، أنت الآن لو قيل لك: إن فلانًا من الناس يكيد لك ويخطط لك، ويريد أن يوقع بك، ويتحين الفرصة لإيصال الأذية إليك. بالله عليك ماذا تصنع؟ حينما تسير في الطريق تكون منتبهًا، تنظر عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك، وتترقب أن يأتيك أحد من خلفك، مستعد للمواجهة في كل حين؛ لأنك تعلم متيقنًا أن ثَم عدو يتربص بك.

لو كنا نشعر بهذا في خبيئة قلوبنا تجاه الشيطان لكان لنا شأن آخر، لما كان لقمةً سائغةً وفريسةً سهلةً لمكائد الشيطان وأحابيله، لكن لأننا نغفل وننسى أن ثم عدو يتربص بنا، يستجرنا الشيطان ويوقعنا فيما حرم الله تعالى علينا، فانتبه

(١) سنن أبي داود (٤٩٨٤)، صححه الألباني.

لهذه الآية العظيمة: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦]. هذا هو الطاغوت الأكبر ورأس الطواغيت الخمسة.

قال: وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ: عياذًا بالله، يعني أنه قدمت له صنوف العبادة من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر وهو يرمق ذلك لا يغير ساكنًا ولا ينكر منكرًا، فالراضي كالفاعل، هذا طاغوت، وإن قال: لم آمر بذلك، و لم أحملهم عليه، هم فعلوا ذلك. يقال: وإن كان، رضاك بذلك وعدم نكيرك له يلحقك بالطواغيت، فإنك عبدت وأنت راضٍ، وهذا يحصل لكثير من المتبوعين والمطاعين الذين يتقدم لهم الناس ويعظمونهم ويغرون فيهم، يلحسون أيديهم، يتمسحون بهم، ويطلبون منهم ما لا يُطلب إلا من الله –عز وجل–، يطلبون منهم الغوث والمدد في أمور لا يقدر عليها إلا الله –عز وجل– ويستحسنون ذلك كما يقع لبعض الممدوحين، أحدهم يقول له شاعره:

فَكُن كَما أَنتَ يا مَن لا شَبيهَ لَه أَو كَيفَ شِئتَ فَما خَلقٌ يُدانيكا

والعياذ بالله، فيعجبه ذلك.ويقول أحدهم لآخر:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

عياذًا بالله، ويعجبه ذلك، فهذا من صدر منه أو من وقع ورضي به فإنه من الطواغيت.

قال: وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ: من دعا إلى عبادة نفسه أشد ممن عبد وهو راض؛ لأنه حمل الناس وندبهم إلى أن يعبدوه من دون الله –عز وجل–، ومن هؤلاء فرعون الذي تباهى واستخف فقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨]، وقال: {قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤]. فحملهم على عبادته من دون الله –عز وجل– فهذا –والعياذ بالله– أيضًا من رءوس الطواغيت، من دعا الناس إلى عبادة نفسه.

قال: وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ: أيضًا من ادعى علم الغيب، وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله –سبحانه وتعالى– فإنه على اسمه: غيب، فالكهان والسحرة والمنجمون والمتنبئون الكذابون ومن على شاكلته، هؤلاء جميعًا طواغيت؛ لأنهم يدَّعون علم الغيب، فيزعمون أنهم يخبرون بالأمور الغائبة والأمور المستقبلة؛ فهؤلاء طواغيت وكفرة بفعلهم هذا، وقد قال الله –عز وجل–: { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥]. إذن من ادعى علم الغيب بأي صورة من الصور؛ فإنه طاغوت.

وأما إن اطلع على بعض الأمور المعلومة لكن بطرق معقولة، فهذا لا يدخل في ذلك، كما يجري عن طريق الاتصالات السريعة وغير ذلك، فهذا ليس من ادعاء علم الغيب، بل من ادعاء علم الشهادة، لكن علم الغيب الذي لا يكون إلا مستقبَلًا أو أمور لا يمكن إدراكها، فهذا يعد إما كاهنًا وإما ساحرًا وإما منجمًا. وقد كثروا –لا كثرهم الله– واستغلوا ضعف الناس، وصاروا يحلبون أموالهم بغير حق، بدعوى أنهم يخبرونهم بالمغيبات.

ومن شواهد ذلك في العصر الأخير: ما يسمى بالمطالع والنجوم أو علم الأبراج إن صح أن نسميه، ولا يصح أن يسمى علمًا، لكنه شاع وفشى في بعض المجلات التافهة، ما يسمى بالأبراج، يقولون: إذا كنت أنت من برج الحمل أو من برج الأسد أو من برج كذا وكذا، سيقع لك كذا وكذا حادث سعيد. هذا رجم بالغيب، يجب أن يحارب وأن ينبذ وأن يحذر منه.

وكذلك ما يدَّعيه بعض الناس من قراءة الكف، يأخذ كف الإنسان ويرمق الخطوط التي به ويقول: هذا الخط يدل على كذا، وهذا الخط يدل على كذا. هذا زور وبهتان وأكل لأموال الناس بالباطل، وبعضهم يدعي القراءة في الفنجان.

وهكذا أصحاب العقول الضعيفة، وأصحاب العقائد الرقيقة، تنطلي عليهم مثل هذه الأمور ويصدقونها، ويجب على أهل العقيدة والإيمان أن يقفوا سدًا منيعًا وأن يقمعوا هؤلاء المفسدين والسحرة؛ حتى إنهم اتخذوا في الآونة الأخيرة قنوات للسحر، يتصل بهم المتصلون ويذكرون لهم بعض الأشياء؛ فيخبرونهم ويهرفون بما لا يعرفون ويخبرونهم بما سيقع لهم مستقبلًا. فهذه أيضًا مما يجب التحذير منها ومحاربتها، والحيلولة بينها وبين الناس.

قال:(وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ): أيضًا هذا من الطواغيت، وقد أنزل الله تعالى في سورة المائدة آيات محكمات في تعظيم هذا الأمر وتشنيعه، فقال الله –سبحانه وتعالى-: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤]،{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥]،{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة: ٤٧]، في آيات متواليات.

وقال بعد ذلك: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [المائدة: ٤٨].

وقال: {وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]، ثم قال بعد ذلك: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

فجاءت هذه الآيات العظيمات في سورة المائدة في تكفير من حكم بغير ما أنزل الله، والتشنيع عليه، ووجوب التزام الشريعة التي أنزلها الله، والتحذير من الاستذلال والافتتان والتخلي عن بعض ما أنزل الله تعالى؛ وبيان أن ما تم إلا حكم الله وحكم الجاهلية، ولا سواء، ولا مقارنة بين الأمرين:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

كما أن الله –سبحانه وتعالى- نفى الإيمان عمن استغنى عن حكمه بحكم غيره، فذكر الله –سبحانه وتعالى- طائفةً من المنافقين، قال عنهم: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} [النساء:٦٠-٦٣]، إلى أن قال الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ}. انظر إلى هذا القسم: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: ٦٥].

إذن -أيها الإخوان- ألا ترون وضوح هذه المسألة، ووضوح هذه القضية، وهي وجوب الحكم بما أنزل الله -عز وجل- لأن الله تعالى ما أنزل هذه الشريعة لكي تكون مادةً تحفظ في الكتب وتصف على الرفوف، وإنما أنزل الله هذه الشريعة لتحتكم إليها البشرية؛ فتصلح بها أحوالهم وتستقيم أمورهم وترد المظالم بسببها وتقام الحدود ببركتها ويندفع الشر.

فلا شك أن مَنْ نحى هذه الشريعة واستبدلها بقوانين وضعية أنه طاغوت من الطواغيت الخمسة الذين عدهم الشيخ -رحمه الله- **وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.**

لكن الحكم بغير ما أنزل الله من حيث هو، لا شك أن الله قد سماه كفرًا، وفسقًا، وظلمًا، وهذا لا يختلف عليه اثنان ممن يقرؤون القرآن، ولكن هل هذا الكفر كفر أكبر أم كفر أصغر؟ وهل ذلك الفسق فسق أكبر أم فسق أصغر؟ وهل ذلك الظلم ظلم أكبر أو ظلم أصغر؟ لأن الأكبر من هذه الثلاثة مخرج عن الملة، والأصغر لا يبلغ الخروج عن الملة.

قد اختلف المفسرون في هذا الأمر، هل يكون ذلك مخرجًا عن الملة أم لا يبلغ أن يكون مخرجًا عن الملة، **والصحيح في هذا هو التفصيل**، فإنه يفرَّق بين أن يحكم حاكم بغير ما أنزل الله في قضية عين، تحمله عليها رغبةً أو رهبةً، وبين أن يقنن قانونًا ويُسن نظامًا ويحمل عليه الكافر، فالذي يحكم في قضية عين بغير ما أنزل الله رغبةً أو رهبةً؛ فقد أتى كبيرةً لا تبلغ به مبلغ الكفر.

مثال ذلك:

- احتكم رجلان إلى حاكم شرعي، فحكم للجاني على المجني عليه محاباةً له؛ لأنه من جماعته وأصحابه، إذن هو قد حكم بغير ما أنزل الله لكن في قضية معينة، فهذا لا يبلغ مبلغ الكفر، لكنه أتى كبيرةً -ولا ريب-.
- أو حكم للظالم على حساب المظلوم رهبةً من الظالم وخوفًا منه، فهذا قد حكم في قضية عين بغير ما أنزل الله فحكمه -وإن سميناه كفرًا- فإنه لا يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة.

كما قال ابن عباس في رده على الخوارج: "ليس الذي يذهبون إليه -يعني الكفر المخرج عن الملة- كفر دون كفر".

❖ أما إذا شرعَّ الإنسان شرعًا للناس واستعاض به عن شرع الله المنزل، وحملهم عليه، ودعاهم إليه، وزهدهم في شرع الله -عز وجل- فهذا لا ريب أنه ينبئ عن كفر أكبر، قال الله -عز وجل-: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١]. فسماهم الله تعالى شركاء، فكأن هذا منازعة لله -عز وجل- في حق من حقوقه المتعلق بربوبيته وألوهيته أيضًا، فإن من ربوبيته الأمر: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤]. فهو

الآمر سبحانه، لا يجوز أن ينازع سبحانه في هذا الأمر، وطاعته من هذا الجانب: من التعبد إليه ومن حقوق ألوهيته، فمن أجل ذا كان الحكم بغير ما أنزل الله يتعلق به توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية.

✓ **فهذا هو القول الفصل في هذه المسألة**: وهو أن يقال: أن من حكم في قضية عين رغبةً أو رهبةً لم يخرج بذلك عن حد الإيمان، ولم ينتقل إلى الكفر، ولكنه أتى كبيرةً ولا ريب، ويوصف عمله بأنه كفر وفسق وظلم لكنه أصغر، أما من سن قوانين وحمل الكافة عليها ودعا إليها واستعاض بها عن شرع الله –عز وجل- فإن هذا يلحقه بالكفر الأكبر؛ لأنه ما كان ليصنع ذلك إلا لاعتقاده بأن هذه القوانين أفضل وخير من حكم الله –عز وجل- ومما أنزل الله تعالى، أو على الأقل أنها مساوية، وكلا الحالين تعتبر مخرجةً عن الملة.

وقد ذكر ابن كثير –رحمه الله تعالى- في تاريخه: أن هولاكو الذي غزا البلاد الإسلامية من جهة المشرق، اتخذ لقومه قانونًا وضعه أبوه جنكيز خان يقال له: الياسق. جمع فيه أحكامًا من مختلف الملل والنحل والشرائع، ومنها شريعة الإسلام، وحمل الناس عليها، وعد ذلك –رحمه الله- من الكفر؛ فلأجل ذا لا يجوز لأهل الإسلام أن يستعيضوا بهذه القوانين الوضعية عن شريعة الإسلام، بل الواجب على أهل الإسلام أن يتمسكوا بالشريعة الإسلامية وأن يقدموها، وألا يخبئوا شيئًا منها أو يستحوا منه، فإنما أنزل الله تعالى في كتابه من الأحكام والحدود هو غاية المصلحة لكل زمان ولكل مكان ولكل جيل وقبيل.

ويجب علينا ألا نخفي شيئًا منها أو أن نعتذر عن شيء منها، فإن بعض الذين خالطوا الغرب، وتأثروا بثقافتهم صاروا يستحون من أن تتضمن شريعتنا قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن وجلده، ويعتبرون أن ذلك منافٍ لحقوق الإنسان ونحو ذلك من الأمور، كثير منهم الآن يتلجلج ويجمجم ويغمغم عند ذكر حد الردة، ويقال: كيف هذا يتنافى مع حرية إبداء الرأي، ويتنافى مع كذا وكذا. يا سبحان الله!:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

الآن الدول المختلفة تسن قوانين من قوانين الإعدام فيما يسمونه بالخيانة العظمى لو ارتكب أحد أفرادها شيئًا مخلًا بالأمن العام والمصلحة القومية لقومهم، ويرونه مستحقًا للإعدام، فكيف يستعظمون أن يكون المرتد عن دينه الذي أتى أكبر خيانة غير مستحق لحد الردة!.

قد يقول قائل: لا تتمكن دولة ما أو نظام ما من تطبيق الحد. هذا شيء، لكن أن يقال: هذا ليس في دين الله حد الردة، ليس في دين الله حكم الرجم، هذا شيء آخر، فلا يجوز جحد ما أنزل الله فلي كتابه، ورده لمجرد ظنون وأوهام أو مصالح مزعومة أو مصالح ملغية، فعلينا أهل الإسلام أن نعتز بديننا وشريعتنا، ونعلم أن ما أنزل الله تعالى هو الحق والمصلحة، وأن به تندفع الشرور، فحد يقام في الأرض خير من أن تُمطَر أربعين صباحًا، كما جاء ذلك في بعض الأحاديث.

وانظروا واعتبروا بحمد الله في هذه البلاد – في المملكة العربية السعودية– حيث تقام الحدود ويحكم بشرع الله –عز وجل– في المحاكم الشرعية، كيف أن الله تعالى كف شرورًا عظيمة ببركة تطبيق الشريعة الإسلامية.

لكن الدول الغازية لبلاد المسلمين –بعد انفراط نظام الخلافة العثمانية– استغلت ضعف المسلمين وأحلت هذه القوانين الوضعية: القانون الفرنسي، القانون الإنجليزي، القانون الألماني إلى غيره في الممالك الإسلامية المختلفة؛ وضيقت الخناق على الشريعة الإسلامية، فلا يكاد يحكم بالشريعة الإسلامية إلا فيما يسمونه بالأحوال الشخصية: في مسائل الطلاق والنكاح وربما إلى حد يسير فيما يتعلق بالمواريث، وأما بقية الأحكام المتعلقة بالأمور المالية والجنائية والحدود فنحيت جانبًا وهُجِرت، وهذا أمر عظيم يجب على المسلمين أن يراجعوا أنفسهم، ويعودوا إلى دينهم، ونسأل الله تعالى أن يثبت القائمين على الحكم بما أنزل الله وأن يمسكوا بالكتاب.